الحركة النقدية
حول الأدب العراقي في القرن التاسع عشر

أ.د. محمد حسن علي مجيد
كلية التربية للبنات / جامعة بغداد

الخلاصة :

يهدف هذا البحث الى تتبع الحركة النقدية التي دارت حول أدب هذه المرحلة ، ومافيها من احكام متقاطعة ، ورصدها وطرح بيان الرأي فيها ؛ لأن هذه الحركة النقدية النشيطة هي تعبير عما لهذا الادب من خصائص وسمات اعجب وأشاد بها فريق من الباحثين والنقاد، ورفعوا اصحابها الى منزلة عالية من الابداع الفني ، ووقف فريق آخر منهم موقفاً معاكساً سلكوا فيه سبيل النقد الشديد ونظروا اليه بازدراء وسلبوا منه كل طريف أومفيد ، وعدّوا المرحلة عقيمة الأدب معدومة الفن كاذبة العقائد مدعّية العواطف ٠٠٠بينما وقف فريقُ ثالث موقفاً وسطاً فنظروا الى هذا الأدب بعين العقل لابعين العاطفة، بعد دراسة وتمحيص واطلاع ومراجعة كافة سلة أدب هذه المرحلة ، وهذا مايجعل أمر مراجعة الاحكام السابقة التي أُطلقت على أدب هذا العصر وشعرائه غاية في الخطورة والأهمية اذا أردنا اعادة النظر في تلك الاحكام ، وتقييمها بما يتناسب وتاريخ المرحلة وظروف المجتمع وطبيعة العملية الفنية ، وبهذا سنخرج بأحكامٍ منصفة وسائرة في خط البحث العلمي الموضوعي .

المقدمة :

شهدالقرن التاسع عشر في العراق الكثير من المفارقات التي طبعت العصر بطابع التناقض . فقد تجاور فيها الجهل والعلم ، والفاقة والغنى ، والقسوة والرحمة والتذلل والإباء ، والرضوخ امام ضغوط الحياة والشكوى منها والرضوخ لواقعها الثقيل المؤلم ،أو التمرد عليها ، الى حد الثورة احياناً ،وبين تملق الحكام ومدحهم ، وبين السخرية منهم وهجائهم ٠٠٠ هذا التناقض الحاد الذي اتصف به هذا العصر لابد ان يترك بصماته على جسد الأدب وعلى قسماته ، حتى ان الشعر الذي ظهر فيه حمل الكثير من الغث المتراكم ، الى جانب الكثير من الظريف والجديد والمبتكر ، فنجد العبقرية المتدفقة الى جوار بلادة الحس وضعف الشعور ، ونجد اللامعين المجيدين من الادباء الى جانب المقلدين والقاصرين٠٠٠ وهذا ماجعل دارسي العصر والباحثين فيه يتقاطعون في احكامهم غير مستقرين على رأي فيه ،وهو ليس عيباً في الباحثين او نقصاً في جهودهم النقدية ، الا انها طبيعة العصر التي فرضت عليهم هذه الآراء المتباينة ، والاحكام المتناقضة ٠٠٠

سيكون منهجنا في هذا البحث ، وللاختصار، تناول موقف واحد من الباحثين من كل اتجاه ، بما يمثله مع ملاحظات سريعة لبعض آراء الباحثين الذين يؤيدونه في هذا الاتجاه أو ذاك ، أو ذكر أسمائهم والإشارة إلى كتبهم التي ضمّنوها آراءهم لكل اتجاه من الاتجاهات الثلاثة الآتية :

١- الاتجاه الإيجابي .
٢- الاتجاه السلبي .
٣- الاتجاه الموضوعي .

الاتجاه الإيجابي :

أبرز من أشاد بأدب هذه المرحلة ، ومثّل اتجاهها ، وعدها عصراً مزدهراً بالأدب ، ممتلئاً بالشعر مزدحماً بالشعراء ، وذات عطاء أدبي ، هو الأستاذ الدكتور محمد مهدي البصير في كتابه الشهير : (نهضة العراق الأدبية في القرن التاسع عشر) ، قال الدكتور البصير[١] : ((كان العراق في هذا العصر قُطراً نائياً مجهولاً ولكن نبغ فيه شعراء كبار ولكن الناس خارج العراق كانوا لايعرفون عنهم شيئاً على الرغم ممالهم من جليل القدر وعظيم المنزلة وجميل الأثر في خدمة اللغة العربية وآدابها ، ولأنهم كانوا لايحسنون الدعوة الى أدبهم ولم يستطيعوا نشر آثارهم ، ولذلك مات أدبهم بموتهم ، ودفنت أخبارهم وآثارهم معهم ، وان مانشر منها لم يُرزق حظاً من الذيوع والانتشار ، ولم يتناوله الأدباء والنقاد بالدرس والتحليل ٠٠٠)) .

وقال[٢]:((ومعلوم ان الحركات الفكرية انما تنشأ وتنمو وتقوى وتشتد في ظل الحكم الوطني المستقر حيث الأمن والطمأنينة والانفتاح ، وحيث التتبع والتفكير والدرس ، وحيث المساعدات المادية التي تكفي العلماء والأدباء مشقة الانشغال الصعب لكسب لقمة العيش ، ومن أمثلة ذلك نهضتنا في صدر الدولة العباسية وازدهار العلوم والفنون والآداب في ظل الخلفاء ولاسيما الرشيد والمأمون ، ونمو الحركة العقلية نمواً عجيباً في القرن الرابع الهجري ، حين كان الخلفاء والوزراء وأهل الجاه يتنافسون في حماية العلماء والفلاسفة ويتسابقون في تقريب الشعراء والكتاب ، ولم يكن في العراق في هذا العصر خليفة كالمأمون ، ولاأمير كسيف الدولة ، ولامصلح كمحمد علي باشا ، انما كان جزءاً من السلطنة العثمانية المترامية الأطراف المضطربة الأحوال٠٠٠ومع ذلك فقد شهد وادي الرافدين في القرن المنصرم نهضة أدبية خطيرةً كتلك التي شهدها القرن الرابع للهجرة في بلاط سيف الدولة بحلب وكذلك التي شهدها ملوك الطوائف في الاندلس ، فقد نبغ في العراق اذ ذاك عدد كبير من أعاظم الفقهاء والعلماء والأدباء٠٠٠)).

أما الشعراء فقد كثروا كثرة عجيبة ، وحسبي أن اقول ان الفحول والمقدمين منهم يعدون بالعشرات ، ومما يجدر ذكره ان هذه النهضة عربية بحتة ، فجميع الشعراء الكبار الذين سنتحدث عنهم عرب اقحاح وذوو أنساب عريقة في العروبة. وقال[٣]: وفي تقييم هذه المرحلة فهي عندي أكبر شأناً من القرن الأول للهجرة من الناحية الشعرية ، ومساوية للقرن الثاني وقد يفوقه –كذا-، لأنه لم يجتمع في هذا القرن ثلاثة فحولٍ من درجة الشعراء : صالح التميمي ومحمد سعيد الحبوبي وحيدر الحلي ... اما مركز العراق الأدبي بالنسبة الى الاقطار العربية ، فانه يبزّها جميعاً سوى مصر التي انجبت البارودي وحده ، بينما أنجب العراق ثلاثة شعراء كبار من أمثاله ٠٠٠وان ادب القرن التاسع عشر في العراق نتيجة رائعة للقرون المتوسطة ، ومقدمة اكثر روعةً للقرن العشرين ، وليس من شك في انه لو لم ينبغ عندنا التميمي والحبوبي وحيدر ، لمّا نبغ عندنا الزهاوي والرصافي والكاظمي ٠٠٠

وقال[٤] : كما ان ادب هذه المرحلة قد مثل كل لون من ألوان الأدب العربي ، واشتمل على كل فن من فنونه ، كما انه ينطوي على محاسن من شأنها ان تزيده قيمةً الى قيمته وخطراً الى خطره ، ذلك انه مثّل حياتنا السياسية في ذلك القرن تمثيلاً صادقاً ، كما مثّل حياتنا الاجتماعية والدينية تمثيلاً عميقاً.

فمن يتصفح ديوان صالح التميمي يجد انه صورة صادقة من حياة العراق السياسية على عهدي الواليين داود باشا ، وعلي رضا باشا ، ومثله ماجاء في ديوان عبد الغفار الأخرس الذي يحفل بصور الفتن والقلاقل والاضطربات التي كادت تقوض اركان الحكم وتفضي الى اراقة الدماء وازهاق النفوس وتعطيل الأعمال ٠

ولعل رائيته التي يصف فيها ضرب الوالي نجيب باشا لمدينة كربلاء في عيد الاضحى عام ١٨٤٢م وداليته التي يصف فيها اضطراب حبل الأمن في البصرة وغلبة العصابات عليها ، وانقاذها من هذه الفوضى الهائلة هو من ابلغ الشعر السياسي وأروعه ، كما اننا نتصور في ديوان عبد الباقي العمري الاضطرابات التي قامت في المحمرة وقضاء الوالي علي رضا باشا عليها وتصوير معاركها ٠٠٠اما

تمثيله للحياة الاجتماعية فإنها تتجلى في دواوين ورسائل عديدة ، منها مقامات ابي الثناء الآلوسي فإنها قد وصفت المجتمع العراقي في تلك المرحلة وصفاً دقيقاً ، وكما نجد ذلك في دواوين جعفر الحلي وابراهيم بحر العلوم وغيرهم ، ولاأغالي اذا قلت انه كله على جانب كبير من الروعة والنفاسة ، كما يمثل حياتنا الدينية تمثيلاً تاماً ، وذلك واضح في ديوان حيدر الحلي الذي فيه ثلاث وثلاثون قصيدة كلها من نفيس الشعر الديني ٠٠٠وليس هذا فقط هو كل مامتاز به الأدب العراقي في هذا القرن بل انه بلغته المهذبة وأساليبه المتينة وديباجته المشرقة مايعيد الى الذاكرة عهود أبي تمام والبحتري والمتنبي والشريف الرضي؛ فشعر التميمي يعيد الى الذاكرة شعر ابي تمام، ونجد في شعر الحبوبي جمال لغة البحتري ولطافة اسلوبه في كل قصيدة من قصائده وفي كل موشحة من موشحاته ، ثم لوقال قائل ان الشريف الرضي بُعث في شخص حيدر الحلي لما كان مخطئاً ٠٠٠وبهذا يتأكد رأينا من أن أدب هذا العصر هو أكبر شأناً من أدب القرن الأول الهجري ، وهو مساوٍ لأدب القرن الثاني للهجرة ،وقد يفوقه بعض الشيء٠٠٠

وقد أعاد الدكتور البصير العوامل التي هيأت لقيام هذه النهضة الأدبية النشيطة في تلك المرحلة السياسية والاجتماعية العصيبة من تاريخ العراق الى ظروف حسنة هيأت لهذه النهضةحماة وانصاراً لم يكونوا في الحسبان ٠ فقد تعهدها نفرٌمن الولاة النبهاء ، منهم داود باشا الذي حكم العراق بين (١٨١٧-١٨٣١)، وعلي رضا باشا الذي تولى الحكم بين (١٨٣١-١٨٤٢)، ومدحت باشا بين (١٨٦٩-١٨٧٢)كما خصّها بالرعاية والعناية عددكبير من الاسر العراقية النبيلة ، ومن تلك الأُسر في بغداد : آل النقيب وهم أهل فضل وعلم وأرباب ثراء وجاه عظيمين ، وآل جميل وهم على غرار آل النقيب في نصيبهم من العلم والجاه والمال وعلى رأس اسرتهم مفتي بغداد الشاعر عبد الغني جميل ، ثم آل كبة وهم أرباب تجارة وأهل علم وأدب ، وكانت دارهم ملتقى العلماء والأدباء والشعراء، وكان لهذه الاسرة الأيادي البيض على الشعر والأدب ،ثم انها انجبت في أواخر هذا القرن رجل علم وأدب خطير الشأن هو الشاعر الشيخ محمد حسن كبة ، وآل الآلوسي وهم أهل وجاهة وعلم ، وآل الشاوي وهم رؤساء قبيلة نبغ منهم في هذا القرن شاعران مُجيدان هما: احمد الشاوي وابنه عبد الحميد ٠٠٠

أما خارج بغداد،فقد برزت أسرٌكثيرة ساعدت على نشرلواء الأدب ، ففي الموصل ظهر آل العمري وهم أهل علو وأدب وسياسة ورئاسة ، نبغ منهم ثلاثة شعراء ، أخصهم بالذكر الشاعر عبد الباقي العمري ، ومنهم اسرة باش عالم ، واسرة آل الجليلي ، وغيرهم٠٠

وفي النجف تصدى للوجاهة والادب ، والأخذ بيد الادباء أُسركثيرة منها آل كاشف الغطاء وهم اهل علم وادب وزعامة دينية ، ولعل اكبر من خدم الأدب منهم الشيخ علي كاشف الغطاء[٥] صاحب موسوعة (الحصون المنيعة) التي تقع في تسع مجلدات ضخمة[٦]، واسرة آل الحبوبي وهم اهل علم وتجارة ووجاهة وأدب ظهر منهم الشاعر المبدع محمد سعيد الحبوبي (١٨٤٩-١٩١٥) . واسرة آل الشبيبي التي ظهر منها الشاعر جواد الشبيبي والد الشاعر الكبير محمد رضا الشبيبي ومحمد باقر الشبيبي، واسرة آل الخضري ، وآل الأعسم ، وغيرهم .

وفي الحلة تحمل مسؤولية احتضان الأدب ورعاية الأدباء أُسرة آل القزويني وهم اعظم الأسر حظاً في رعاية الأدب والأدباء، وأجلها أثراً في تاريخ الحركة الأدبية في العراق ، وكان زعيم هذه الأسرة هو السيد مهدي القزويني واولاده الأربعة جعفر وصالح وراضي ومحمد ، وكلهم كانوا وجهاء وعلماء وشعراء في وقت واحد وكانوا جميعاً أهل حَول وطول ، مُدِحَ كلُ منهم ورُثي بما يملأ مجلداً ضخماً عل الأقل ، وكان اكثرهم خطراً واعظمهم اثراً في تاريخ الحركة الأدبية في عصره هو السيد محمد القزويني ، الذي كان عالماً وجيهاً وزعيماً اجتماعياً خطيراً كما كان شاعراً مقتدراً ، له ديوان شعروخطوط بإسم (طروس الإنشاء)[٧] ، ثم أُسرة آل السيد سليمان وهم أهل وجاهة وعلم وأدب ،ظهرمنهم أشهر شعراء العراق في زمانه السيد حيدر الحلي ، وأُسرة آل الماشطة وغيرهم٠٠٠أما اشهرالأُسر البصرية التي تعهدت الأدب ورعت الأدباء فهي أُسرة آل باش أعيان ، وغيرها من الأسر ٠

أما العامل الثالث الذي أخذ بيد هذه النهضة الأدبية الكبرى – كذا – على رأي الدكتور البصير، فهو الاستعداد الفطري الكامن في نفس كل عراقي ، ذلك الاستعداد الذي لاتؤاتيه فرصة من الفرص حتى ينكشف تكشّف المعدن الثمين ، اذا انحسرت عنه الرمال ، وينفجر تفجّر النبع الغزير اذا ماأُزيح عنه التراب ، اذن فالعراق مدين بنهضته هذه ايضاً الى ماآتاه الله من سلامة الفطرة وصفاء الطبع وجودة السليقة ، فضلاً عما نوّهنا به من رعاية الولاة المصلحين ، وعناية أرباب الاسر ووجهائها للأدب والأدباء [٨].

هذا هو مجمل رأي الدكتور البصير في الأدب العراقي في القرن التاسع عشر ودوافع اعجابه بهذا الأدب، والعوامل التي ساعدت على نهضة الأدب في هذه المرحلة كما جاء في كتابه (نهضة العراق الأدبية في القرن التاسع عشر) الذي بسط آراءه هذه في المقدمة والتمهيد والخاتمة .

أما في الكتاب فقد تحدث عن حياة ثمانية وعشرين شاعراً، وقال عنهم :انهم ليسوا كل ماأنجب العراق من قالة القريض في القرن المنصرم ولاأكثرهم أدباً، ولاكل من اعرف منهم ، ولكنهم صفوة مَن اعرف وخير من وصلني علمه منهم .

ثم تحدث عن ابرز اولئك الشعراء واشاد بقدراتهم الفنية ، ومـاأنجزوه من ابداع ادبي ، نقتطف بعض آرائه في قسم منهم؛ لغرض الموازنة بما قاله غيره فيهم من الباحثين من الاتجاه المعاكس ،فقد تحدث عن الشاعر محمد سعيد الحبوبي في ثلاث حلقات (ثلاثة فصول) تحدث فيها حديثاً مسهباً عن نشأته وحياته وثقافته ومكانته الاجتماعية والدينية ، كما تحدث فيها عن غزله ووصفه ورثائه ، كما تحدث حديثاً مطولاً عن موشحاته وأيدي اعجابه المنقطع النظير بها ، ومما قاله فيها: ((انها من الجودة والكثرة بحيث ينبغي عندها وقفة خاصة ... فليس من شك في ان هذه الموشحات جميعها هي من افضل مأأنتجه الوشاحون القدماء-كذا-وليس من شك في ان اربعاً منها تفضل كل ما انتجه الوشاحون القدماء ومن بينهم لسان الدين بن الخطيب وابن زمرّك الاندلسي وابن سناء الملك المصري ، وصفي الدين الحلي)) [٩] -كذا- .

وقال في الحبوبي الشاعر: ((كان الحبوبي وحيدر [الحلي] في طليعة شعراء العراق ...وكان رجال الأدب في العراق مجمعين انهما خير شعراء العراق في القرن المنصرم على الاطلاق)) [١٠] ، وقال : ((وعندي ان الحبوبي أغزل شعراء عصره وان حيدراً ارثى شعراء عصره ، واذا كان في تاريخ الادب العربي رجل تصّح المقارنة بينه وبين الحبوبي تماماً فهو الشريف الرضي لأنهما يتشابهان تشابهاً قوياً ويتقاربان في شؤون أدبية ومادية كثيرة تقارباً عجيباً ، فكلاهما شاعرٌفحل وكلاهما طريفُ الغزل عفيفه الى حد بعيد وكلاهما مترفع عن التكسب بالشعر ترفعاً تاماً ، وكلاهما صاحبُ فقه وصلاح وورع ، وكلاهماموفور الحظ من الجاه والمال ، وكلاهما رجل عمل وكفاح ايضاً ، هذا على الرغم من ان الظروف التي احاطت بالرجلين مختلفة أيما اختلاف ، فقد عاش الشريف الرضي في عصر من أزهى عصور الحضارة الاسلامية هو القرن الرابع للهجرة ، وعاش الحبوبي في عصر من احط عصور التاريخ الاسلامي واشدها ظلاماً ، وعاش الرضي في ظل الخلافة العربية وعاش الحبوبي في ظل السلطنة العثمانية التركية ، وعاش الرضي في عاصمة الملك ومقرالخلافة (بغداد) وعاش الحبوبي في مدينة (النجف) البعيدة كل البعد عن السياسة والحضارة ، ومع ذلك كان بين الرجلين ماكان من وجوه الشبه والتقارب)) [١١] .

واذا كان البصير قد خصّ الحبوبي بثلاثة فصول ، فانه خص حيدر الحلي بأربعة ، تحدث في اولها عن سيرته وفي الثاني عن آثاره وفي الثالث عن فخره ورثائه ، ، وعاود الحديث عن رثائه مرة اخرى في الرابع . ومما قاله في حيدر : ((انه كان رجلاً ابياً عزيز النفس ، يلتزم التصوّن ويؤثر الترفع ، وانه كان ذا منزلة عالية في مجتمعه ، بحيث انه كان اذا دخل مجلساً نهض له كل من في المجلس إجلالاً واعجاباً ، كما لو كان عالماً كبيراً او حاكماً خطيراً ، ولبلوغه هذه المنزلة الرفيعة اسباب ، اولها : تبريزه بين شعراء عصره، وثانيهما نباهةُ بيته ومكانة اسرته المرموقة في المجتمع ، وثالثهما كلفُ آل

القزويني به وتقديمهم له واطراؤهم اياه)) [١٢] ، كما قال في شعره وشاعريته وجودته في كل مانظم الشيء الكثير الذي يمكن مراجعته في مصدره .

وسار في الاتجاه ، ووقف الموقف الايجابي نفسه من أدب هذه المرحلة ،عدد من الباحثين، منهم: الاستاذ ابراهيم الوائلي في كتابه: (الشعر السياسي العراقي في القرن التاسع عشر) والاستاذ عباس العزاوي في كتابه: (تاريخ الأدب العربي في العراق) بغداد ١٩٦٢، والاستاذ ابراهيم الدروبي في كتابه: (البغداديون ، اخبارهم ومجالسهم) بغداد ١٩٥٨ ، والدكتورة عاتكة الخزرجي في مقالها : (نظرات في شعر الاخرس) مجلة المجمع العلمي العراقي مجلد ١٩٧٦/٢٧ص/٢٨٠ وغيرهم ٠

٢- الاتجاه السلبي :

مثلما وقف الكثير من الباحثين من الادب العراقي في القرن التاسع عشر موقف التقدير والاعجاب ،وأشادوا به ، وقف فريق آخر منهم في الاتجاه المعاكس الذي سميناه (الاتجاه السلبي) ، حيث انهم لم يروا فيه غير ادب مظلم ، لانه نتاج عصر مظلم ، وانه في احسن حالاته أدب زخرفة وتقليد ومبالغات وتلاعب بالالفاظ ، لايحوي عاطفةً ولاصدقاً ولاخيالاً ولاصوراً ، وهو ادب لاروح فيه ولاحياة ولاابداع ، ولاينتمي الى فن الشعر بشيء ، انما هو مجرد رصف للألفاظ وتلاعب بالمعاني ، وتقليد غير موفق لمعاني السابقين وصورهم ، وهوأدب غير جدير بالقراءة والدرس والبقاء .

وأبرز من يمثل هذا الاتجاه هو الاستاذ الدكتور (علي عباس علوان) في كتابه: (تطور الشعر العربي الحديث في العراق) ، وقد أفرد الفصل الأول من الباب الاول منه لعنوان (مشكلة العقم في شعر القرن التاسع عشر) ، حيث عدّ شعر هذه المرحلة شعراً عقيماً لاينتمي الى الفن الشعري بأي حال من الاحوال ((وحيث بلغت فيه مشكلة الفن قمة الجمود ، ووصلت القصيدة فيها اقصى غايات الزخرفة والتصنع ، وانتهى الفنان الشاعر الى درجة العقم المحتومة)) [١٣].

قال الدكتور علوان[١٤] : ((ان تفاصيل الصورة المظلمة التي تقدمها كتب التاريخ والسير والرحلات والمذكرات التي تناولت القرن التاسع عشر لاتعنينا كثيراً بقدر ماتعنينا حركة تطور الوعي في المجتمع العراقي من خلال قضايا الثقافة والتعليم التي وجدناها هزيلة ، وان الذي يلفت الانتباه حقاً ان العراق خلال هذا القرن ظلَّ أسيراً لحركة استمرارية القرون التي سبقته ، لاسباب ابرزها موقعه الجغرافي المتطرف من الوطن العربي، مما جعل آثار التيارات الحضارية تصله متأخرة ، كما حكم العراق في هذه المرحلة حكام اتراك اغلبهم من القادة العسكريين ، عُرف معظمهم بالغلظة والشدة والخشونة والقسوة)) .

كانت السلطة تتركز بيد الوالي ومجموعة من الموظفين غالبيتهم من الاتراك ثم مجموعة من الاسر الموسرة عُرف بعضها بالعلم والادب وتشجيعهم الشعراء واكرامهم ، والذي يهمنا هنا تحديد مكانة الشاعر العراقي في هذه المرحلة ؛ لان ذلك يساعدنا في تبيان اهتماماته ودوافعه وموضوعاته ٠٠٠ ومن خلال تصفحنا لدواوين شعراء القرن التاسع عشر نجد ان الشاعر العراقي مع السلطة ومركز القوة دائماً يعيش مابين الوالي وهذه الأسر التي ترعاه وتعينه على شظف العيش ، وقد عرف لبعض الولاة اهتمامهم بالشعراء يقربونهم ويصلونهم ، امّا بدافع الشهرة او لتسجيل اخبارهم ومآثرهم ، اذ قرّب الوالي داود باشا الكاتب عثمان بن سند البصري الذي مدحه واشاد به في كتاب ألفه له بعنوان : مطالع السعود في طيب اخبار الوالي داود) كما قرّب الشاعر صالح التميمي الذي عدّه شاعره الخاص في تسجيل اعماله والاشادة بمآثره ، وكان الشاعر عبد الباقي العمري يشغل وظائف حكومية مهمة مما جعله قريباً الى مجموعة الولاة يتقرب منهم ويلوذ بهم كالوالي علي رضا باشا، والوالي نجيب باشا وغيرهما . والشاعر عبد الغفار الاخرس الذي كان على صلة حميمة بالوالي داود ، ومن بعده بالوالي علي رضا ، وهكذا ٠٠٠، ولاشك في ان علاقة الشاعر بالولاة او بهذه الاسر لاتقوم الا على المدح ، وتسجيل المآثر وتفخيمها ، كما ان مهمته اليومية حينذاك كانت تتخذ دوراً آخر في علاقاته بهذه القوى ، فهو انيس

مجالسهم ومحدث لبيب يحسن (مفاكهة) ممدوحيه ، ولم تكن تلك مهمة صغار الشعراء انما هي مهمة أكابرهم (فعبد الغفار الأخرس الذي يُعدُّ من أجلّة شعراء عصره وكانت أماجد العراق ترتاح الى مفاكهته). ولعل مما يزيد وضوح تدني مكانة الشاعرفي هذا العصر ويكشف عن مهانته مايرويه واحد من اكبر شعراء القرن، وهو الشاعر عبد الباقي العمري حين يقف بين يدي ممدوحيه يقدم لهم بضاعته من الشعر ، قائلاً: ((فقدمته وانا ارفضَّ من الخجل عرقاً .اذ ان الناقد بصير والمقام خطير)). اما الشاعر حيدر الحلي فانه يفعل الاعاجيب حين يستحثه وليُ نعمته الحاج مصطفى كبة على ان يقول شيئاً في بيتين قالهما والي بغداد مدحت باشا ، فما كان من الشاعر الا ان نثر البيتين نثراً طويلاً، ثم قال: ((هذا والله هو الشعر الذي تقطر منه الحماسة دماً٠٠٠))٠

ولئن كانت تلك مهام اشهر شعراء العصر عبد الباقي العمري وحيدر الحلي ، فان غيرهما ممن لم يجد غير ان ينطلق (ليستدر من شق قلمه لماظة عيشه ودرة قوته ومؤونة اهله) فأصبح يرثي الكبير ويمدح العين والوجيه ويسرح ويمرح في اودية التهاني والرثاء والمديح الغراء ، فلا غضاضة اذا اصبح كما قيل فيه :

فطوراً في تهانيه يغني وطوراً في مراثيه ينوحُ

ولسنا هنا في صدد تسجيل مظاهر نفاق الشعراء وكذب شعرهم وزيف احاسيسهم-كذا-انما نريد تأكيد اسباب تلك المظاهر والكشف عن واقع الشاعر ومكانته ، فلقد أحوجهم العصر الى السلطة ، فراحوا يتمسحون بها ويقفون على أعتابها طويلاً –كذا- ولن يستغرب الباحث بعدها حين يديم النظر في دواوين شعراء العصر ان يجد منهم من لم يحظ حتى بكلمة الشكر او الاستحسان ، فهذا الشاعر جعفر الحلي العلوي النسب (والذي اصبح وهو دون العشرين احد الشعراء المشهورين يحدثنا ناشر ديوانه عن قصائده الغراء التي مدح بها السلطان في الاستانة وحاشيته من عرب وأتراك ، ماكدت آماله ولم يحصل حتى على قيمة الحبر والقرطاس ، فانظر الى سوق الشعر في زماننا) – وهكذا بات للشعر سوق كاسدة ، وعاش الشاعر عيشة مزرية ، وكانت الهوة سحيقة بينه وبين متلقيه ٠٠٠اما نظرة المجتمع الى فنه فالواقع ان المجتمع العراقي لم يكن ينظر الى الشعر باعتباره شيئاً او عملاً يجلب الاحترام لقائله-كذا- حين اصبح نوعاً من المفاكهة ، واداة تسلية واسلوب تسجيلٍ اخباري عند السلطة وذوي النفوذ [١٥] ٠

اما العامة فانها كانت ترى الشعرَ يحطّ من ذوي الشأن واصحاب المكانة السامية –كذا-ولعل نظرة العامة لم تتعد حدود التشخيص لمكانة الشاعر من الشعر الذي تسمعه في المناسبات انه حرفة يستجدي بها الشاعر ، ويهتم بمناسبات علية القوم ، اما بسطاء الناس فليس من الشعراء من اهتمّ بهم ، او وجّه قصائده لهم او مَن عبّر عن مشاعرهم ، فاذا اضفنا الى نظرة المصلحة ، مُثُلَ المجتمع العراقي العشائرية وشيوع الروح الديني ، ادركنا السبب الذي دعا بعض العوائل الدينية الى الانفاق على بعض الشعراء وتقريبهم ، ولذلك فان الشعراء انفسهم ينظرون الى (فن الشعر) بشكل عام باعتباره شيئاً مخجلاً يبعث على العار ، وربما اكسب صاحبه ذنوباً واوزاراً ، فالشاعر جعفر الحلي يقول :

ولست بشاعر بالشعر فخري ولكن ليس لي عن محيص

وكأن الشعرَ وشرفَ الانسان ووقاره على طرفي نقيض ، فاذا ماعُدّت فضائلُ الرجل وحسناته آنذاك ، فالشعر لابدّ ان يأتي في آخرها ، فيقال (والشعردون مقامه)، ويوصف احدهم (بانه كان على سرعة خاطره غير مكثر من الشعر، لأنه يعدّه دون مقامه) فاذا كانت هذه صورة الشعر والشاعر في ذلك العصر ،فهل يتوقع وجود الفنان المبدع والشاعر العظيم ؟

والواقع اننا حين نتأمل ملامح العصر وابرز خطوط ثقافته ، ونوعية التعليم الذي يحصل عليه الشاعر منذ صباه على الطريقة التقليدية بين الكتاتيب والحلقات، تجعلنا نتأكد ان ضيق الأفق وسطحية التفكير وسذاجة النظرة الى الحياة تكاد تسم غالبية الشعراء ،فاذا بعقائدهم مهزوزة لاتكشف الا عن أنانية مقنطة وضيق افق محزن ، وهذا الرأي يكفي لتفسير مجموعة ضخمة من التناقضات التي تطالعنا في دواوين الشعراء ، فالشاعرعبد الباقي العمري حين يمدح الوالي علي رضا عند فتكه بقبائل كعب العربية

حين تمردها على سلطته سنة ١٨٣٧ لايكتفي باصدار فتواه بكفر هذه القبيلة ، انما يقول (كعاد) في الفساد :

حكوا عاداً الاولى غدتْ ريحُ صرصر ثلاث لييّلاتٍ عليهم مسخّرهْ

اما الشاعرَصالح التميمي فيجنح بخياله الى أسوأ من ذلك ، فقد صوّر معركة الوالي علي رضا مع قبائل كعب انها اعظم بكثير من يوم ذي قار الذي انتصر فيه العرب على العجم في قصيدة طويلة يمكن مراجعتها في ديوان التميمي ص ١٩ ومابعدها[١٦] ، ولكن الأعجب من هذا انه كيف يكون هذا الشاعر ذا قيمة في نفسه وهو يتمنى ان تسعده الأيام بتقبيل كف الولي علي رضا، حين يقول :

مَن لي بتقبيل كفٍّ ، صوبُ عارضها يُزري بواكفِ صوبِ العارضِ الهطلِ

ولكن ، ان اكتفى التميمي بتقبيل كف الوالي، فـإن الشاعـرعبد الغفار الاخـرسَ العلوي النسب ، تمنى قبله عودة الوالي داود باشا ليقبل اقدامه وتلك غايات الغايات :

فالثمُ اقدامُ الوزيـر التـي لـها الى غايـة الغايـات ممشى ومهيع

ومن هنا يأتي الشك في مدى صحة عقائد الشعراء وصلابة تلك العقائد ، ولاسيما الدفاع عن مذهب ديني كالذي نقرأه في ديوان حيدر الحلي الذي صوّر مالحق بآل البيت في مجموعة كبيرة من قصائده من ظلم ونكبات ، وقد يعجب الباحث لهذا الشاعر المدافع عن قيمه وعقيدته ، وقد ينساق مع بعض الباحثين من ان حيدر كان صاحب دعوة للثورة على الظلم والسلطة التركية ، ولكن دراسة باب المدائح في ديوانه تجعلنا نتردد طويلاً في الاقتناع بفكرة الثورة التي تُنسب اليه ، حين نجده يمدح مجموعة من الولاة والموظفين الاتراك على مختلف درجاتهم ٠٠٠وهكذا فعَلَ غيرهُ ٠٠٠

ومن هنا تغدو عملية ربط الفن بعقيدة الفنان عبثاً لاطائل تحته ، وليس من الموضوعية تقسيم الشعراء الى اصحاب عقائد ، واصحاب منافع ذاتية؛لأنهم جميعاً ليسوا بذوي عقائد[١٧]- كذا- ٠

ومضطر ان اقف عند هذا الحد في استعراض آراء الدكتور علوان ، لعدم قدرة هذا البحث ومجالهِ استيعاب كل أو أكثر ما ذكره من تقييم لأدب العراق في هذا العصر ، لأن خلاصته كان مسطوراً في عنوان الفصل الذي ذكرناه آنفاً وهو(مشكلة العقم في الشعر العراقي في القرن التاسع عشر) ، هذا الذي حاول الدكتور علوان ان يصل اليه اويبرهن عليه بحماس واندفاع شديدين، يستطيع الراغب في معرفة المزيد من آرائه في هذا الشأن مراجعة كتابه هذا الذي رجعنا اليه واخذنا منه [١٨] ٠

وفي هذا الدرب – درب الدكتور علوان – وفي الاتجاه المعاكس نفسه ، وفي الصفِ المناوئ هذا الادب ، وقف باحثون آخرون منهم: الاستاذعبد الجبار داود البصري في كتابه (مقال في الشعر العراقي الحديث) – دار الجمهورية / بغداد ١٩٦٨ ، وعربية توفيق لازم في كتابها: (حركة التطور والتجديد في الشعر العراقي الحديث) ، بغداد ١٩٧١ وغيرهما٠

٣- الاتجاه الموضوعي :

الموضوعية في النقد تعني أن يزاول الناقد مهمته بتجرُّدٍ تامٍّ ، وكأنَّه غريب عن النص ، فلا دخل لأحاسيسه الشخصية ، وما يحبه في النص وما لا يحبه [١٩] .. وأبرز سمة في النقد الموضوعي هي التزام جانب الحياد ، والحياد يعني عدم تدخل الناقد في عملية الإبداع لدى الأديب [٢٠] .

وعندما نتحرى هذا الاتجاه في كتابات العراقيين نجده لدى عدد من النقاد من أوائلهم الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء في حديثه عن دواعي قول الشعر وشحذ الهمم وذلك في المقدمة التي كتبها لديوان الشاعر جعفر كمال الدين الحلي سنة ١٩٥١م . فحلل العلاقة بين حياة الشاعر وبيئته ووصف شعره بحياد تام ، وأبدى إعجابه بشعره وذكر مواطن القوة والجودة فيه ، ولكن دون أن ينسيه ذلك الإعجاب ما وقع فيه الشاعر من عيوب وما وجد فيه من سَقَط [٢١].

ومن الدراسات في الاتجاه الموضوعي نستطيع أن نضع دراسة الدكتور يوسف عز الدين في كتابه (الشعر العراقي . أهدافه وخصائصه في القرن التاسع عشر) ، الذي حاول أن يكون موضوعياً في أدائه

، ملتزما بمنهج علمي اعتمده في بناء أحكامه النقدية، يعتقد الدكتور عز الدين بأهمية أدب هذه المرحلة فيقول عنها:((إن جذور الأدب العربي الأولى التي تبرعمت منها دوحة الأدب الحديث ،وقام على أساسها الأدب المعاصر في العراق)) [٢٢] .وقد نظر الدكتور عز الدين إلى الشعراء من خلال تقسيمهم إلى فئات ، كل فئة تستجيب لمؤثرات البيئة حسب طبيعة إحساسها ودرجة وعيها وقدرتها الفنية على التعبير عما تعكسه تلك الظروف على تقسيمات الشعراء وخواطرهم ،وفي تعليق له على نصوص شعرية جاءت على أسلوب البديع ، نجده ينصف شاعر هذه المرحلة إذ يقرّ له بمحاولة التحليق في أجواء أفضل من الجو الذي عاش فيه ، ومحاولة الخروج إلى الناس بالشعر الجزل الرصين المبتكر الجديد [٢٣]. ولكن الدكتور عز الدين يميل أحياناً نحو الاتجاه السلبي بعد أن أشاد كثيراً بأدب هذه المرحلة ، فيقول في مكان آخر:((وكان الشعر في العراق في هذه الفترة امتداداً للفترة المظلمة ، فقد الشعر أهم عنصر من العناصر المقومة للأدب الحي ، وفقد حرية التعبير عن خلجات النفس الإنسانية)) [٢٤] .

وممن وقف في صف الاتجاه الموضوعي في تقييم أدب هذه المرحلة الدكتور محمد حسن علي مجيد في كتابه:((أثر البيئة في أدب المدن العراقية في القرن التاسع عشر))، الذي اتبع المنهج الجغرافي في دراسة أدب هذه المرحلة في العراق ، إذ درس أثر البيئة على الأدب في كل مدينة من مدن الشعر العراقي الرئيسة وهي : بغداد والحلة والنجف والموصل ، فوجد فيها شيئا جديداً ، إذ قال : [٢٥]

إن ظروف الحياة السياسية في العراق في القرن التاسع عشر وحكم الولاة المتخبط وسياسة التمييز والتفرقة التي اتبعها الحكام بين أبناء الشعب ، خلق تباعداً بين سكان العراق وأفراده ومدنه حتى صارت البلاد ذات مدن مختلفة عن بعضها ، وجعل لكل مدينة عراقية طابعاً خاصّاً بها، واتسمت بسلوك معين،وأسلوب في الحياة والمعيشة والتعامل مع السلطة يختلف عن أساليب المدن الأخرى .

فمدينة بغداد – مثلاً- كانت مركز الولاية ومقر الولاة والحكام والموظفين الكبار، فسكانها على هذا الأساس أكثر اتصالاً بالحياة العامة وبالسياسة وبالإداريين والموظفين وضباط الجيش ، وهم أكثر قرباً من الحكام وأشدّ تأثّراً بالأحداث، فالناس في بغداد إذن والشعراء على نحو خاص ، أكثر اهتماماً بالأمور العامة،وأشدّ التصاقاً بالسياسة وأحداثها، سواء من كان منهم موالياً للسلطة والحكومة أو من كان معارضاً لهما ناقماً ثائراً عليهما ، هاجياً لحكّامها .

أمَّا الحلّة والنجف فقد ابتعدتا عن السياسة وأحداثها بشكل عام ، بل لنقل أنهما أُبعدتا عن الحكم والسلطان وعن المشاركة في حكم البلاد،فالحلة كانت مدينة منكمشة على نفسها ، لا تثق بالولاة مجتنبة ما يتعلّق بشؤون الموظفين والحكام الذين اتسم سلوك أكثرهم بالتعسف والجور؛لأن الأتراك كانوا وحدهم يشغلون معظم دوائر الحكومة عدا بعض الوظائف الصغيرة [٢٦] لذلك انكمشت المدينة على نفسها ، وعاشت في عزلتها واختارت أسلوب حياتها المتمثل بالانطواء والشعور بالغبن والأسى ، وأشغلت نفسها بمجالس العزاء والرثاء الديني والاجتماعي .

كما ابتعدت النجف هي الأخرى عن السياسة وأحداثها وعن المشاركة في الحكم والحياة العامة[٢٧] ؛ لذلك شعر أهلهُا بفراغ وضجر كبيرين ، فانطووا على أنفسهم وانصرفوا إلى حياتهم الخاصة ، وصار أبناء الأُسر الموسرة يتمتعون بثرواتهم وشبابهم بما يتوافر لديهم من مجالات اللهو والإنس يتسلون بهاعن لذة الحكم وجاه السلطة وعزها ، ووجد في النجف مجتمع ميسور مترف ، ومن المعلوم إنَّ عوامل الثروة والغنى والفراغ واليأس من المشاركة في الحياة العامة،كلها تقود إلى اللهو والعبث لذلك راح النجفيون يزجون أوقات فراغهم باصطناع الحب وانتقال مجالس الخمر والندمان وسيل من المداعبات الإخوانية والهزل والمساجلات ، بركام من أشعار الغزل والهزل .

أمَّا الموصل فقد كانت أكثر بعداً عن مركز الولاية ومقر الحكومة المركزية ، ولكنها كانت تتمتع بنوع من الاستقرار وبقلّة في المشكلات الاجتماعية والسياسية بالنسبة لمدن العراق الأخرى [٢٨] ، وبما أن الموصل عرفت من عصور سابقة بطابعها الديني؛ لذلك اشتهرت بكثرة أهل الزهد والتصوف

، وترسَّخ هذا الاتجاه فيها ، فقد كثر فيها الشعر الديني وشعر الزهد وشعر التوسل والاستغفار وشعر المدائح النبوية .

إذن فحين انشغلت بغداد بالسياسة وأحداثها وتأييد الحكام أو معارضتهم،أبدعت في الشعر السياسي تأييداً للحكام أو معارضتهم مما لا نجد له مثيلاً في كثرته ونضجه في مدن العراق الأخرى ، بينما تلفعت الحلة برداء الحزن وصارت تنشد الرثاء ولاذت بالبكاء تنفّس عما حاق بها من عنت وجور ، فأجادت في شعر الرثاء كماً وفناً مما لا يوجد مثله في مدينة عراقية أُخرى ، أمَّا النجف فقد دفنت همومها ونفَسَت عن ضيقها بالاتجاه إلى الفكاهة والغزل واللهو مما لايوجد مثله في غيرها من المدن العراقية الأخرى ، في حين تمسكت الموصل بأهداب الدين والتوجُّه إلى سيد المرسلين ، يزجون له القصائد حبَّاً وتشفُّعاً ، فأتت بأحسن الوان هذا الشعر وأجمل معانيه مما عجزت غيرها من مدن العراق الأخرى، بالإتيان بمثل جودته وصدقه وكثرته [٢٩] .

×××

هذه مجمل آراء الاتجاهات الثلاثة ، رأينا أن لكل اتجاهٍ أدلته ، وعند النظر الموضوعي لآراء أولئك الباحثين ومبرراتهم ، نجد أنَّ أصحاب الاتجاهين الايجابي والسلبي قد انطلقوا من دوافع معيَّنةٍ ، ونظر كلٌّ منهم إلى أدب هذا العصر نظرةً ذاتَ علاقةٍ بمرحلتهِ ومعايشتهِ وظروفهِ ، فالأستاذ الدكتور البصير ممثل الاتجاه الإيجابي ، هو الأكثر قرباً من مرحلة القرن التاسع عشر ، وأكثرُ اتصالاً بها ، وهو أقدمُ مَن درسَهَا ، فقد وُلِدَ في الحلة سنة ١٨٩٧م ، وعندما شبَّ عاصرَ الرعيل الأخير من أدباء القرن التاسع عشر ، وعاش في أجواء ذلك الأدب ، وشَهِدَ شَغَفَ الناس بالأدب وإعجابهم بالشعراء والأُدباء ، وأهل الفضل من الناس ، فضلاً عن كونه شاعراً مُجيدَا ، وقد لا أحتاجُ إلى أن أُذكّر القُرَّاء الأفاضل بأن البصير قد لُقّبَ بشاعر ثورة العشرين عند قيامها ، وهو أكبرُ شعرائِها - كما هومعلوم – فشهادته لأدب هذه المرحلة لايستهان بها ، ولا يمكن تجاوزها ، وإنَّه فضلاً عن كونه شاعراً مُجيدَاً ، ومعاصراً لأدب هذه المرحلة ، فهو باحث أكاديمي ثَبتْ ، وقد اتسمت كل بحوثه بالدقة والعمق والرصانة العلمية ، وما زالت بحوثه وآراؤُه في أدب العصور العربية كلّها من المراجع المهمة التي لا يستطيع باحثٌ أكاديمي أن يتجاوزها في مرحلتها.

ولكن مع هذا القرب في الزمان والمكان ، وتلك الحكمة الأكاديمية والشاعرية الفذَّة لدى البصير ، هل كانت أحكامه السابقة على أدب القرن التاسع عشر كلُّها دقيقة تماماً ، أو إنَّه في كل ما قال ليس فيه ما يعترض عليه ؟

الجواب : إن أحكامه تلك على أهميتها والكثير من موضوعيتها فيها من المبالغة ما يستوقف الباحث الأكاديمي ، فالدارس لأدب هذه المرحلة بدقة لا يرى فيها النهضة الأدبية الخطيرة التي تحدَّث عنها البصير كتلك التي شهدها القرنُ الرابعُ للهجرةِ في بلاط سيف الدولة ، ولا كتلك التي شهدها ملوك الطوائف في الأندلس ولا هي أكبر شأناً من أدب القرن الأول للهجرة أو مساوية لأدب القرن الثاني وقد يفوق عليه بعض الشيء كما ذكر البصير!!

وقد حاولت من سنين أن أجد جواباً لما أتصور أنَّ في هذه الأحكام مبالغة من لدن باحث موضوعي مقتدر كالدكتور البصير ، فلم أجده إلاَّ حينما كتب الأستاذ الدكتور علي جواد الطاهر مقدمة الطبعة الثالثة لكتاب الدكتور البصير الذي أصدره تحت عنوان:(نهضة العراق الأدبية في القرن الثالث عشر للهجرة) عام ١٩٩٠ م ، حين قال (أي الدكتور الطاهر) : ((إن الدكتور البصير خيرُ مَن يعرفُ هذا العصرَ ويسبرُ غورَه ، ويُحَدِّدُ محاسنَهُ ، لما أدركَهُ منه وعاشَهُ ، ولكنّي لاحظتُ عليه حماسَهُ له أكثر مما هو عليها في مؤلفاتِهِ الأُخرى ، حتَّى ليبدو منحازاً إليه أو داعيةً له ، فسألته عن ذلك فقال ما معناه : لأنَّه عصرٌ جديرٌ بالدرس ، وإنَّه نسب له ظلمٌ كثير ، فلا بدَّ أن أقفَ هذا الموقفَ لأُلفِتَ النظرَ إليه ، وأُرَغِّبَ فيه ، حتى إذا ما حصل ذلك وعاد الحقُّ إلى أهله وصار العصر حقيقة قائمة ، فلا خوف عليه

بعد ذلك من شدَّةٍ في النقد أو إيغالٍ في البحث أو دراسة الوسطِ والرديءِ منه إلى جانب الجيد والمبتكر ، فليتقدم حينذاك مَن يشاء أن يقفَ موقفاً غيرَ موقفي هذا))[٣٠] .

أما ماجاء في آراء اصحاب الاتجاه السلبي وكان مثالهم كتاب الدكتور علي عباس علوان ، وما جاء فيه من تجريد لأدب هذه المرحلة من كل فضيلة ومن اية قيمة فنية ، ووَسْمه بالتخلف والضحالة التامتين ٠٠ فإننا نُرجِّح أن هذا التجريد الظالم كان بسبب ان كتابه الذي وردت فيه آراؤه تلك هو عبارة عن رسالة جامعية كتبها في القاهرة أواخر الستينات تحت عنوان :(التطور في الشعر العربي الحديث في العراق)،فهو يفترض وجود تطور في الشعر العراقي الحديث ، وهذا (التطورُ) هو محور الرسالة فلابد من إثبات ذلك التطور حتى تُقبل الرسالة ، ولايثبتُ وجود تطور إلا بوجود تخلفٍ قبله ، اذن لابد من إثبات تخلف الادب العراقي في المرحلة السابقة لأدب العصر الحديث ؛ لذلك هجم على شعراء تلك المرحلة وعلى شعرهم ومرحلتهم وشنّ عليهم حملةً شعواء جرّدهم فيها من كل فضيلة، وكان سبيله في ذلك انه وضع أمامه أدبَ قرنٍ كاملٍ ، وانتقى منه كل بيت رديء او ساقط ، وكل قصيدةٍ فيها مايشين واستدل بكل تصرّف مشين صدر عن شاعر ما ، عبْر مائة سنة ، فجعلها أنموذجاً لذلك الأدب ، فاستطاع ان يقنع المشرفين بوجود تخلف كبير في الأدب العراقي ، ثم أتى بعده تطور خطير في الأدب الحديث ، وهكذا فعلت عربية توفيق لازم في كتابها:(حركة التطور والتجديد في الشعر العراقي الحديث) الذي أنجزته في القاهرة أوائل السبعينات رسالة ماجستير ، أما الاستاذ البصري فمعروف بمناوأته للأدب العراقي في القرن التاسع عشر ، وشغفه بأدب السياب والشعر الحر ، وبطبيعة الحال ان مرحلة مائة سنةٍ مليئةٍ بالأحداث والتناقضات ومكتظةٍ بالشعراء، لا يمكن أن تخلوَ من شعر غث او سمج او تقليد ، لكنه في الوقت نفسهِ ممتلئ بالطريف والجيد والجديد وحتى المبتكر ، فنحن لايمكن ان نجد غزلاً وصوراً أطرف من غزل الشاعر محمد سعيد الحبوبي وصوره ، ولاأكثر لطفاً ولاأبدع خيالاً من خمرياته التي لاتدانيها خمرياتٌ من عصر بعد ابي نؤاس حتى الحبوبي ، ولاموشحاتٍ ارقّ معنى واحلى نفحاً من موشحاته منذ صفي الدين الحلي ولسان الدين ابن الخطيب ، كما لم يكن في الأدب العراقي رثاءٌ اجمل صوراً ولاأصدق عاطفة من رثاء حيدر الحلي منذ الشريف الرضي ، بل هو يبزّه في بعض مراثيه ؛ لأن الرضي كان يرثي آل البيت محزوناً ، اما حيدر فكان يجأر مظلوماً ، فهو من خلال الرثاء يشكو ظلم الزمان ، وجور السلطان وتعسف الولاة والحكام ، واستغاثة المظلوم غير رثاء المحزون ،فضلاً عما يمتلكه حيدر من شاعرية فذة شهد له بها كل من كتب عنه .

كما ان شعراء القرن التاسع في العراق طوروا (شعرالبند) القائم النظم فيه على أساس التفعيلة لاعلى نظام الشطرين المتساويين والبيت الكامل ، ونظموا به أجمل قصائد المدح الديني والاخوائي والغزل والطبيعة والرحلات ، والبند- مثلما ذكرنا في أكثر من مقال كتبناه عنه ونشرناه – هو أصل الشعر الحر في العراق الذي زعم روّاده انهم اكتشفوه اواخر العقد الخامس من القرن العشرين ، بينما كان الشعر الحر موجوداً في العراق وبشكل متقن في القرن التاسع عشر وماقبله ، ولكن بإسم (البند) [٣١] .

هذا هو مجمل رأينا في الأدب العراقي في هذا القرن ، فإذا شاء مَن شاء ان يُسقِط ادب هذه المرحلة ، كله او بعضه من مفهوم الشعر ويطرده من حظيرة الأدب ، اعتماداً على قناعات سابقة او آراء قيلت هنا أو هناك من غير درس او تدبّر او تمحيص ، او لأغراض تجارية او جواز عبور لتحقيق اهداف ذاتية او مرحلية ، فله مايريد ٠٠٠ ومن أراد الدراسة الموضوعية المنصفة الهادفة التي تتلمس الحقيقة فهذا سبيلها ٠٠٠

هوامش وتعليقات البحث

١- نهضة العراق الأدبية في القرن التاسع عشر/ ص٣ ٠
٢- المصدر نفسه/ص٨-١٠ ٠
٣- المصدر نفسه/ص٣٣٠ ٠

٤- المصدر نفسه/ص٣٢٧-٣٣٠ ٠
٥- هو والد العلامة الأديب الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء ٠
٦- الموسوعة تقع في تسع مجلدات ، ماتزال مخطوطة في مكتبة الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء العامة في النجف ٠
٧- طبع مؤخراً بجهود الباحث جودت القزويني ٠
٨- نهضة العراق الأدبية في القرن التاسع عشر/ ١١-١٣ ٠
٩- انظر : المصدر نفسه/ ص٢٨ ٠
١٠- المصدر نفسه /ص١٤ ٠
١١- المصدر نفسه /ص١٥-١٦ ٠
١٢- المصدر نفسه /ص٤١-٤٢ ٠
١٣- تطور الشعر العربي الحديث في العراق /ص٧٥ ٠
١٤- المصدر نفسه/ص١٥-٢٠ ٠
١٥- المصدر نفسه/ص٢٠-٢٥ ٠
١٦- المصدر نفسه/ص٢٦-٣٠ ٠
١٧- المصدر نفسه/ص٢٦-٢٨ ٠
١٨- المصدر نفسه ص١٥-٨٧ ٠
١٩- مقدمة في النقد الأدبي . دكتور علي جواد الطاهر ط٢/ ص٣٤١ ٠
٢٠- في النظرية النقدية – محمود البستاني-بغداد١٩٧١،ص٥٣.
٢١- سحر بابل- وهو ديوان الشاعر جعفر الحلي – المقدمة / ص ١٤ ٠
٢٢- الشعر العراقي أهدافه وخصائصه في القرن التاسع عشر – المقدمة ٠
٢٣- المصدر نفسه/ص٨٢ ٠
٢٤- المصدر نفسه/ص١٦٠ ٠
٢٥- اثر البيئة في أدب المدن العراقية في القرن التاسع عشر ص ٦-١٠ ٠
٢٦- رحلتي الى العراق – جمس بكنغهام- ٥٦/٢ ٠
٢٧- الاحلام- علي الشرقي/ص٧٤-٧٥ ٠
٢٨- انظر: تطور الفكرة والاسلوب/ ٢٨، نهضة العراق الأدبية / ٩ و: اثر البيئة في ادب المدن العراقية /١١ ٠
٢٩- اثر البيئة في أدب المدن العراقية/ص١٢، ٩١،٩٥ .
٣٠- نهضة العراق الأدبية في القرن الثالث عشر للهجرة ٠د٠محمد مهدي البصير ٠ط٣-بيروت ١٩٩٠/مقدمة د٠ علي جواد الطاهر ٠
٣١- راجع مقالنا في مجلة (لغة الضاد)- مجلة المجمع العلمي العراقي- بعنوان:(الجذور التاريخية للشعر الحر في العراق) ج٣ لسنة ٢٠٠٠ ص٥٧-٦٧ ، ومقالنا في مجلة المورد (البغدادية) بعنوان:(شعر البند٠٠٠) المجلد/٢٢ العدد/٢لسنة ١٩٩٤،ص٣٧ ٠

مصادر البحث :

١- اثرالبيئة في أدب المدن العراقية في القرن التاسع عشر- د٠محمد حسن علي مجيد ٠ط المكتبة العصرية – بغداد ١٩٩٨ ٠
٢- الأحلام – علي الشرقي- بغداد ١٩٦٣ ٠
٣- تطور الشعر العربي الحديث في العراق – د٠ علي عباس علوان - بغداد ١٩٧٥ ٠
٤- تطور الفكرة والأسلوب- د٠ داود سلوم- مطبعة المعارف-بغداد ١٩٥٩ ٠
٥- الجذور التاريخية للشعر الحر في العراق – د. محمد حسن علي مجيد،(لغة الضاد)، مجلة المجمع العلمي العراقي ،ج٣، بغداد،٢٠٠٠ .
٦- رحلتي إلى العراق- جمس بكنغهام- ترجمة: سليم طه التكريتي ، مطبعة دار البصري – بغداد ١٩٦٩ ٠
٧- سحر بابل (ديوان السيد جعفر كمال الدين الحلي) ، ط صيدا-لبنان، ١٣٣١هـ .
٨- الشعر العراقي٠ أهدافه وخصائصه في القرن التاسع عشر. د٠يوسف عز الدين – القاهرة ١٩٦٥ ٠
٩- شعر البند-د٠محمد حسن علي مجيد، مجلة(المورد)، المجلد٢٢، العدد(٢)،بغداد،١٩٩٤ .
١٠- في النظرية النقدية – محمود البستاني- بغداد ١٩٧١ ٠

١١- مقدمة في النقد الادبي – د٠ علي جواد الطاهر /ط٢ ٠
١٢- نهضة العراق الادبية في القرن التاسع عشر- د٠ محمد مهدي البصير- مطبعة المعارف- بغداد ١٩٤٦ ٠
١٣- نهضة العراق الأدبية في القرن الثالث عشر للهجرة د٠محمد مهدي البصير ٠ط٣-بيروت ١٩٩٠ ٠